/ بسم الله الرحمن الرحيم ٥/٥

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

سئل شيخ الإسلام العالم الرباني تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن عبد السلام بن تيمية ـ رحمه الله تعالى :

ما قول السادة العلماء أئمة الدين في « آيات الصفات » كقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، وقوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤، يونس: ٣] وقوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: ١١]، إلى غير ذلك من آيات الصفات، و«أحاديث الصفات» كقوله ﷺ: «إن قلوب بني آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن»(١)، وقوله: «يضع الجبار قدمه في النار»(٢) إلى غير ذلك؟ وما قالت العلماء فيه؟ وابسطوا القول في ذلك مأجورين إن شاء الله ـ تعالى.

فأجاب ـ رضي الله عنه :

الحمد لله رب العالمين، قولنا فيها ما قاله الله ورسوله ﷺ / والسابقون الأولون، ٥/٦
من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، وما قاله أئمة الهدى بعد هؤلاء الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم، وهذا هو الواجب على جميع الخلق في هذا الباب وغيره؛ فإن الله ـ سبحانه وتعالى ـ بعث محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق؛ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد، وشهد له بأنه بعثه داعياً إليه بإذنه، وسراجاً منيراً، وأمره أن يقول: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨].

فمن المحال في العقل والدين أن يكون السراج المنير الذي أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور، وأنزل معه الكتاب بالحق؛ ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، وأمر

---

(١) مسلم في القدر (٢٦٥٤/ ١٧)، والترمذي في القدر (٢١٤٠) وقال: «حديث حسن» وفي الباب عن عبد الله ابن عمرو بن العاص، وأحمد ٢/ ١٦٨ وكلهم عن عبد الله بن عمرو بن العاص، إلا الترمذي فهو عن أنس.

(٢) البخاري في التفسير (٤٨٤٩، ٤٨٥٠)، ومسلم في الجنة (٢٨٤٦/ ٣٦)، والترمذي في صفة الجنة (٢٥٥٧) وقال: « حديث حسن صحيح»، وأحمد ٢/ ٣٦٩ عن أبي هريرة.

الناس أن يردوا ما تنازعوا فيه من أمر دينهم إلى ما بعث به من الكتاب والحكمة، وهو يدعو إلى اللّه وإلى سبيله بإذنه على بصيرة، وقد أخبر اللّه بأنه أكمل له ولأمته دينهم ، وأتم عليهم نعمته ـ محال مع هذا وغيره، أن يكون قد ترك باب الإيمان باللّه، والعلم به ملتبسا مشتبهاً ، ولم يميز بين ما يجب للّه من الأسماء الحسنى والصفات العليا، وما يجوز عليه، وما يمتنع عليه .

فإن معرفة هذا أصل الدين وأساس الهداية ، وأفضل وأوجب ما اكتسبته القلوب، وحصلته النفوس، وأدركته العقول، فكيف يكون ذلك الكتاب وذلك الرسول وأفضل خلق اللّه بعد النبيين لم يحكموا هذا الباب اعتقاداً وقولاً ؟ !

٥/٧ / ومن المحال ـ أيضا ـ أن يكون النبى ﷺ قد علم أمته كل شيء حتى الخراءة، وقال: «تركتكم على المحَجَّة البيضاء ، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك»[(١)]. وقال فيما صح عنه ـ أيضاً ـ: « ما بعث اللّه من نبى إلا كان حقّا عليه أن يدل أمته على خير ما يَعْلَمه لهم، وينهاهم عن شر ما يَعْلَمه لهم » [(٢)].

وقال أبو ذرٍّ: لقد تُوفِّى رسول اللّه ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علما[(٣)]. وقال عمر بن الخطاب: قام فينا رسول اللّه ﷺ مقاماً، فذكر بدء الخلق، حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم، حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه . رواه البخاري [(٤)] .

ومحال مع تعليمهم كل شيء لهم فيه منفعة في الدين ـ وإن دقت ـ أن يترك تعليمهم ما يقولونه بألسنتهم ، ويعتقدونه في قلوبهم ، في ربهم ومعبودهم رب العالمين، الذي معرفته غاية المعارف ، وعبادته أشرف المقاصد، والوصول إليه غاية المطالب ، بل هذا خلاصة الدعوة النبوية ، وزبدة الرسالة الإلهية ، فكيف يتوهم من في قلبه أدنى مُسْكَة[(٥)] من إيمان وحكمة ألا يكون بيان هذا الباب قد وقع من الرسول على غاية التمام؟! ثم إذا كان قد وقع ذلك منه، فمن المحال أن يكون خير أمته وأفضل قرونها، قصروا في هذا الباب ، زائدين فيه أو ناقصين عنه .

ثم من المحال ـ أيضاً ـ أن تكون القرون الفاضلة ـ القرن الذي بعث فيه رسول

---

(١) ابن ماجه في المقدمة (٤٣) ، وأحمد ٤/ ١٢٦ عن العرباض بن سارية .

(٢) مسلم فى الإمارة (١٨٤٤ / ٤٦) .

(٣) أحمد ٥/ ١٥٣، ١٦٢ والطبرانى فى الكبير (١٦٤٧) وقال الهيثمى فى المجمع ٨ / ٢٦٦ : « رواه أحمد والطبرانى ورجال الطبرانى رجال الصحيح غير محمد بن عبد الله بن يزيد المقرى وهو ثقة » .

(٤) البخاري في بدء الخلق (٣١٩٢).

(٥) أي : أصل وعقل . انظر: المصباح المنير، مادة « مسك».

اللّهﷺ، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم ـ كانوا غير/ عالمين وغير قائلين في هذا الباب ٥/٨
بالحق المبين؛ لأن ضد ذلك إما عدم العلم والقول، وإما اعتقاد نقيض الحق وقول خلاف الصدق، وكلاهما ممتنع .

أما الأول ،فلأن من في قلبه أدنى حياة وطلب للعلم أو نَهَمَة في العبادة، يكون البحث عن هذا الباب والسؤال عنه ، ومعرفة الحق فيه ، أكبر مقاصده ، وأعظم مطالبه؛ أعني بيان ما ينبغي اعتقاده ، لا معرفة كيفية الرب وصفاته .

وليست النفوس الصحيحة إلى شيء أشوق منها إلى معرفة هذا الأمر .وهذا أمر معلوم بالفطرة الوجدية، فكيف يتصور مع قيام هذا المقتضي ـ الذي هو من أقوى المقتضيات ـ أن يتخلف عنه مقتضاه في أولئك السادة في مجموع عصورهم ؟! هذا لا يكاد يقع في أبلد الخلق ، وأشدهم إعراضاً عن اللّه ،وأعظمهم إكبابا على طلب الدنيا ، والغفلة عن ذكر اللّه ـ تعالى ـ فكيف يقع في أولئك ؟!

وأما كونهم كانوا معتقدين فيه غير الحق أو قائليه ، فهذا لا يعتقده مسلم ، ولا عاقل عرف حال القوم .

ثم الكلام في هذا الباب عنهم أكثر من أن يمكن سطره في هذه الفتوي وأضعافها ، يعرف ذلك من طَلَبه وتَتَبَّعه، ولا يجوز ـ أيضاً ـ أن يكون الخالفون أعلم من السالفين ، كما قد يقوله بعض الأغبياء ممن لم يقدر قدر السلف، بل ولا عرف اللّه ورسوله والمؤمنين
به حقيقة المعرفة المأمور بها: من أن «طريقة السلف أسْلم / وطريقة الخلف أعلم وأحكم » ـ ٥/٩
وإن كانت هذه العبارة إذا صدرت من بعض العلماء قد يعنى بها معنى صحيحاً .

فإن هؤلاء المبتدعين الذين يفضلون طريقة الخلف من المتفلسفة ومن حذا حَذْوهم على طريقة السلف، إنما أتوا من حيث ظنوا :أن طريقة السلف هي مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث،من غير فقه لذلك، بمنزلة الأميين الذين قال اللّه فيهم :﴿**وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ**﴾[البقرة:٧٨] ،وأن طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات .

فهذا الظن الفاسد أوجب تلك المقالة، التي مضمونها نَبْذ الإسلام وراء الظهر، وقد كذبوا على طريقة السلف ، وضلوا في تصويب طريقة الخلف؛ فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف في الكذب عليهم ، وبين الجهل والضلال بتصويب طريقة الخلف .

وسبب ذلك: اعتقادهم أنه ليس في نفس الأمرصفة دلت عليها هذه النصوص

بالشبهات الفاسدة ، التى شاركوا فيها إخوانهم من الكافرين ؛ فلما اعتقدوا انتفاء الصفات في نفس الأمر ، وكان مع ذلك لابد للنصوص من معنى، بقوا مترددين بين الإيمان باللفظ وتفويض المعنى ـ وهي التى يسمونها طريقة السلف ـ وبين صرف اللفظ إلى معانٍ بنوع تَكلُّف ـ وهي التي يسمونها طريقة الخلف ـ فصار هذا الباطل مركباً من فساد العقل والكفر
بالسمع ؛ فإن النفي إنما اعتمدوا فيه / على أمور عقلية، ظنوها بينات وهي شبهات، ١٠/٥
والسمع حرفوا فيه الكلم عن مواضعه .

فلما ابتنى أمرهم على هاتين المقدمتين الكفريتين الكاذبتين، كانت النتيجة استجهال السابقين الأولين واستبلاههم ، واعتقاد أنهم كانوا قوماً أُميين، بمنزلة الصالحين من العامة، لم يتبحروا في حقائق العلم بالله، ولم يتفطنوا لدقائق العلم الإلهي ، وأن الخلف الفضلاء حازوا قَصَب السَّبْق(١) في هذا كله .

ثم هذا القول إذا تدبره الإنسان وجده في غاية الجهالة، بل في غاية الضلالة . كيف يكون هؤلاء المتأخرون ـ لاسيما والإشارة بالخلف إلى ضرب من المتكلمين الذين كثر في باب الدين اضطرابهم ،وغلظ عن معرفة الله حجابهم، وأخبر الواقف على نهاية أقدامهم بما انتهى إليه أمرهم حيث يقول :

لعمري لقد طفتُ المعاهد كلها ... وسيَّرت طرفي بين تلك المعالم

فلم أر إلا واضعاً كَفَّ حائر ... على ذقن أو قارعاً سِنّ نادم

وأقروا على أنفسهم بما قالوه متمثلين به أو منشئين له فيما صنفوه من كتبهم، كقول بعض رؤسائهم :

نهاية أقدام العقول عقال ... وأكثر سَعْي العالمين ضلال

وأرواحنا في وحشة من جسومنا ... وحاصل دنيانا أذى ووبال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

/لقد تأملت الطرق الكلامية ، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلا ولا تروي ١١/٥
غليلا ، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن. اقرأ في الإثبات: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾[فاطر: ١٠]، واقرأ في النفي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً﴾[طه: ١١٠] ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل

---

(١) قصب السبق: أصله أنهم كانوا يتصبون في حلبة السباق قصبَة فمن سبق اقتلعها وأخذها ليعلم أنه السابق من غير نزاع ، ثم كثُر حتى أطلق على المبرِّز والمشمِّر . انظر: المصباح المنير، مادة « قصب».

معرفتي. ا.هـ .

ويقول الآخر منهم : لقد خُضْتُ البحر الخِضَمَّ ، وتركت أهل الإسلام وعلومهم ، وخضت في الذي نهوني عنه ، والآن إن لم يتداركني ربي برحمته فالويل لفلان ، وها أنا أموت على عقيدة أُمي . ا.هـ.

ويقول الآخر منهم : أكثر الناس شكًا عند الموت أصحاب الكلام .

ثم هؤلاء المتكلمون المخالفون للسلف إذاحقق عليهم الأمر، لم يوجد عندهم من حقيقة العلم بالله وخالص المعرفةبه خبر ، ولم يقعوا من ذلك على عين ولا أثر ، كيف يكون هؤلاء المحجوبون، المفضلون، المنقوصون، المسبوقون، الحيارى ، المُتَهَوّكون[1]، أعلم بالله وأسمائه وصفاته، وأحكم في باب ذاته وآياته من السابقين الأولين ، من المهاجرين والأنصار ، والذين اتبعوهم بإحسان من ورثة الأنبياء وخلفاء الرسل ، وأعلام الهدى ومصابيح الدُّجَى، الذين بهم قام الكتاب وبه قاموا ، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا، الذين وهبهم الله من العلم والحكمة ما برزوا به على سائر أتباع الأنبياء، فضلا عن سائر الأمم الذين لا كتاب لهم ، وأحاطوا من حقائق المعارف وبواطن الحقائق بما لو جمعت حكمة غيرهم إليها لاستحيا من يطلب المقابلة ؟!

٥/١٢ / ثم كيف يكون خير قرون الأمة أنقص في العلم والحكمة ـ لاسيما العلم بالله وأحكام أسمائه وآياته ـ من هؤلاء الأصاغر بالنسبة إليهم ؟ أم كيف يكون أفراخ المتفلسفة وأتباع الهند واليونان ، وورثة المجوس والمشركين ، وضلال اليهود والنصارى والصابئين، وأشكالهم وأشباههم، أعلم بالله من ورثة الأنبياء وأهل القرآن والإيمان ؟!

وإنما قدمت هذه المقدمة؛ لأن من استقرت هذه المقدمة عنده عرف طريق الهدى أين هو في هذا الباب وغيره ، وعلم أن الضلال والتَّهَوُّك إنما استولى على كثير من المتأخرين بنبذهم كتاب الله وراء ظهورهم ، وإعراضهم عما بعث الله به محمداً ﷺ من البينات والهدى ، وتركهم البحث عن طريقة السابقين والتابعين ، والتماسهم علم معرفة الله ممن لم يعرف الله بإقراره على نفسه، وبشهادة الأمة على ذلك ، وبدلالات كثيرة، وليس غرضي واحداً معيناً ، وإنما أصف نوع هؤلاء ونوع هؤلاء .

وإذا كان كذلك،فهذا كتاب الله من أوله إلى آخره،وسنة رسوله ﷺ من أولها إلى آخرها،ثم عامة كلام الصحابة والتابعين،ثم كلام سائر الأئمة، مملوء بما هو إما نص وإما

(١) أي: المتحيرون . انظر: القاموس ، مادة «هوك».

ظاهر في أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ هو العلي الأعلى، وهو فوق كل شيء، وهو على كل شيء، وأنه فوق العرش، وأنه فوق السماء، مثل قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[فاطر: ١٠]، ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾[آل عمران: ٥٥]، ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ﴾ [الملك: ١٦]، ﴿أَمْ أَمِنتُم / مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ ٥/١٣
حَاصِبًا﴾[الملك: ١٧]، ﴿ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾[النساء: ١٥٨]، ﴿ تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]، ﴿ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾[السجدة: ٥]، ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]، ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾، في ستة مواضع [الأعراف: ٥٤، يونس: ٣، الرعد: ٢، الفرقان: ٥٩، السجدة: ٣٢، الحديد: ٤]، ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]﴿يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ . أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾[غافر: ٣٦، ٣٧]، ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، ﴿مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١١٤]. إلى أمثال ذلك مما لا يكاد يحصى إلا بكلفة .

وفي الأحاديث الصحاح والحسان ما لايحصى إلا بالكلفة، مثل قصة معراج الرسول ﷺ إلى ربه[١]، ونزول الملائكة من عند الله وصعودها إليه، وقوله في الملائكة الذين يتعاقبون فيكم بالليل والنهار: «فيعرج الذين باتوا فيكم إلى ربهم فيسألهم وهو أعلم بهم»[٢].

وفي الصحيح في حديث الخوارج: « ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء، يأتيني خبر السماء صباحاً ومساء؟ »[٣] وفي حديث الرقية ـ الذي رواه أبو داود وغيره ـ : «ربنا، الله الذي في السماء ، تقدس اسمك ، أمرك في السماء والأرض، كما رحمتك في السماء، اجعل رحمتك في الأرض، اغفرلنا حَوْبَنا وخطايانا ، أنت رب الطيبين ، أنزل رحمة من رحمتك، وشفاء من شفائك على هذا الوجع ». قال رسول الله ﷺ : « إذا اشتكى أحد منكم أو اشتكى أخ له فليقل: «ربنا الله الذي في السماء » [٤]وذكره .

---

(١) البخاري في الصلاة (٣٤٩)، ومسلم في الإيمان (١٦٢/ ٢٥٩)، وأحمد ٣/ ١٤٨ عن أنس بن مالك .

(٢) البخاري في المواقيت (٥٥٥) ، و مسلم في المساجد (٦٣٢/ ٢١٠)، والنسائي في الصلاة (٤٨٥)، وأحمد ٢/ ٢٥٧ عن أبي هريرة.

(٣) البخاري في المغازي (٤٣٥١)، ومسلم في الزكاة (١٠٦٤/ ١٤٤) وأحمد ٣/ ٤ عن أبي سعيد الخدري.

(٤) أبو داود في الطب (٣٨٩٢)، وأحمد ٦/ ٢١ عن أبي الدرداء عند أبي داود، وعند أحمد عن فضالة بن عبيد الأنصاري ولم يذكر أبو الدرداء وضعفه الألباني . .

و« حَوْبنا» أي : إثمنا . انظر : النهاية ١/ ٤٥٥.

وقوله في حديث الأوعال [(١)] : « والعرش فوق ذلك ، والله فوق عرشه، وهو
٥/١٤ يعلم/ ما أنتم عليه»[(٢)]. رواه أحمد وأبوداود وغيرهما، وقوله في الحديث الصحيح للجارية: «أين الله؟ » قالت: في السماء . قال: « من أنا؟ » قالت : أنت رسول الله . قال: «أعتقها فإنها مؤمنة » [(٣)].

وقوله في الحديث الصحيح: « إن الله لما خلق الخلق، كتب في كتاب موضوع عنده فوق العرش: إن رحمتي سبقت غضبي »[(٤)] ، وقوله في حديث قبض الروح: « حتى يعرج بها إلى السماء التي فيها الله ـ تعالى »[(٥)] .

وقول عبد الله بن رواحة الذي ـ أنشده للنبي ﷺ وأقره عليه:

شهدت بأن وعد الله حـق وأن النار مثوى الكافرينـا
وأن العرش فوق الماء طاف وفوق العرش رب العالمينا

وقول أُمية بن أبي الصلت الثقفي ،الذي أُنشد للنبي ﷺ هو وغيره من شعره فاستحسنه، وقال: « آمن شعره، وكفر قلبه »[(٦)]،حيث قال :

مـجدوا الله فهـو للمـجـد أهـل ربنا في السمـاء أمسى كبـيراً
بالبناء الأعلى الذي سبق الناس وسوى فـوق السمـاء سـريرًا
شرجعا مـا ينـاله بـصـر العيــ ـن ترى دونـه الملائك صوراً

وقوله في الحديث الذي في المسند:«إن الله حييٌ كريم يستحيى من عبده إذا رفع يديه
٥/١٥ إليه أن يردهما صفرا »[(٧)].وقوله في الحديث :« يمد يديه إلى السماء/يقول: يارب، يارب»[(٨)]. إلى أمثال ذلك مما لايحصيه إلا الله ، مما هو من أبلغ المتواترات اللفظية

---

(١) أي: الملائكة التي على صورة الأوعال. والأوعال هم تيوس الجبل. انظر: النهاية ٥/٢٠٧.

(٢) أحمد ١ / ٢٠٦ وأبو داود فى السنة (٤٧٢٣) وابن ماجة فى المقدمة (١٩٣) ، وضعفه الألبانى .

(٣) مسلم فى المساجد (٥٣٧ / ٣٣) .

(٤) البخاري في التوحيد (٧٥٥٣، ٧٥٥٤)، ومسلم في التوبة (٢٧٥١/١٤-١٦)، وابن ماجه في الزهد (٤٢٩٥)، وأحمد ٢/ ٢٤٢ عن أبي هريرة.

(٥) ابن ماجه في الزهد (٤٢٦٢)، وأحمد ٢/ ٣٦٤، عن أبي هريرة .

(٦) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٣/ ١٢٤، والجامع الصغير للسيوطي ١/ ٨ (١٩) وعزاه لابن الأنباري في المصاحف عن ابن عباس.

(٧) مسلم فى المساجد (٥٣٧ / ٣٣) .

(٨) مسلم في الزكاة (١٠١٥/ ٦٥) ، والترمذي في التفسير (٢٩٨٩) وقال:« حسن غريب»، وأحمد ٢/ ٣٢٨ عن أبي هريرة.

والمعنوية، التى تورث علماً يقيناً من أبلغ العلوم الضرورية، أن الرسول ﷺ المبلّغ عن اللّه ألقى إلى أمته المدعوين : أن اللّه ـ سبحانه ـ على العرش ، وأنه فوق السماء ، كما فطر اللّه على ذلك جميع الأمم ، عربهم وعَجَمهم في الجاهلية والإسلام ، إلا من اجتالته[1] الشياطين عن فطرته .

ثم عن السلف في ذلك من الأقوال ما لو جمع لبلغ مئين أو ألوفا .

ثم ليس في كتاب اللّه ، ولا في سنة رسوله ﷺ ، ولا عن أحد من سلف الأمة ـ لا من الصحابة ولا من التابعين لهم بإحسان ، ولا عن الأئمة الذين أدركوا زمن الأهواء والاختلاف ـ حرف واحد يخالف ذلك ،لا نصاً ولا ظاهراً .

ولم يقل أحد منهم قط: إن اللّه ليس في السماء ، ولا أنه ليس على العرش ، ولا أنه بذاته في كل مكان ، ولا أن جميع الأمكنة بالنسبة إليه سواء ، ولا أنه لا داخل العالم ولاخارجه ، ولا أنه لا متصل ولا منفصل ، ولا أنه لا تجوز الإشارة الحسية إليه بالأصابع ونحوها، بل قد ثبت في الصحيح عن جابر بن عبد اللّه: أن النبى ﷺ لما خطب خطبته العظيمة يوم عرفات، في أعظم مجمع حضره الرسول ﷺ ، جعل يقول : «ألا هل بلغت؟» فيقولون: نعم. فيرفع إصبعه إلى السماء ثم ينكبها إليهم ويقول: «اللّهم اشهد»[2] غير مرة وأمثال ذلك كثيرة .

٥/١٦ فلئن كان الحق ما يقوله هؤلاء السالبون النّافون للصفات الثابتة في / الكتاب والسنة، من هذه العبارات ونحوها، دون ما يفهم من الكتاب والسنة إما نصاً وإما ظاهراً،فكيف يجوز على اللّه ـ تعالى ـ ثم على رسوله ﷺ، ثم على خير الأمة: أنهم يتكلمون دائما بما هو إما نص وإما ظاهر في خلاف الحق ؟! ثم الحق الذي يجب اعتقاده لا يبوحون به قط، ولا يدلون عليه لا نصاً ولا ظاهراً؛حتى يجيء أنباط الفرس والروم ، وفروخ اليهود والنصارى والفلاسفة، يبينون للأمة العقيدة الصحيحة ، التي يجب على كل مكلف أو كل فاضل أن يعتقدها !! .

لئن كان ما يقوله هؤلاء المتكلمون المتكلفون هو الاعتقاد الواجب وهم مع ذلك أحيلوا في معرفته على مجرد عقولهم،وأن يدفعوا بما اقتضى قياس عقولهم ما دل عليه الكتاب والسنة نصاً أوظاهراً، لقد كان ترك الناس بلا كتاب ولا سنة أهدى لهم وأنفع على هذا التقدير،بل كان وجود الكتاب والسنة ضرراً محضاً في أصل الدين .

---

(١) أي : حوّلته. انظر : القاموس ، مادة «جال».

(٢) مسلم فى الحج (١٢١٨ / ١٤٧) وأبو داود في المناسك (١٩٠٥)، وابن ماجه في المناسك (٣٠٧٤).

فإن حقيقة الأمرعلى ما يقوله هؤلاء : إنكم يا معشر العباد لا تطلبوا معرفة اللّه ـ عز وجل ـ وما يستحقه من الصفات نفياً وإثباتاً، لامن الكتاب ولا من السنة، ولا من طريق سلف الأمة .

ولكن انظروا أنتم، فما وجدتموه مستحقاً له من الصفات فصفوه به ـ سواء كان موجوداً في الكتاب والسنة أولم يكن ـ وما لم تجدوه مستحقاً له في عقولكم فلا تصفوه به!! .

٥/١٧ / ثم هم هاهنا فريقان :أكثرهم يقولون :ما لم تثبته عقولكم فانفوه ـ ومنهم من يقول: بل توقفوا فيه ـ وما نفاه قياس عقولكم ـ الذي أنتم فيه مختلفون ومضطربون اختلافاً أكثر من جميع من على وجه الأرض ـ فانفوه، وإليه عند التنازع فارجعوا؛ فإنه الحق الذي تعبدتكم به، وما كان مذكوراً في الكتاب والسنة مما يخالف قياسكم هذا ، أو يثبت ما لم تدركه عقولكم ـ على طريقة أكثرهم ـ فاعلموا أني أمتحنكم بتنزيله لا لتأخذوا الهدى منه، لكن لتجتهدوا في تخريجه على شواذ اللغة، ووحشي الألفاظ، وغرائب الكلام، أو أن تسكتوا عنه مفوضين علمه إلى اللّه، مع نفي دلالته على شيء من الصفات، هذا حقيقة الأمر على رأي هؤلاء المتكلمين .

وهذا الكلام قد رأيته صرح بمعناه طائفة منهم ، وهو لازم لجماعتهم لزوماً لا محيد عنه، ومضمونه : أن كتاب اللّه لا يهتدى به في معرفة اللّه ، وأن الرسول معزول عن التعليم والإخبار بصفات من أرسله، وأن الناس عند التنازع لا يردون ما تنازعوا فيه إلى اللّه والرسول، بل إلى مثل ما كانوا عليه في الجاهلية ، وإلى مثل ما يتحاكم إليه من لا يؤمن بالأنبياء،كالبراهمة والفلاسفة ـ وهم المشركون ـ والمجوس وبعض الصابئين .

وإن كان هذا الرد لا يزيد الأمر إلاشدة، ولا يرتفع الخلاف به؛ إذ لكل فريق طواغيت يريدون أن يتحاكموا إليهم ، وقد أمروا أن يكفروا بهم. وما أشبه حال هؤلاء
٥/١٨ المتكلمين بقوله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ / أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيدًا . وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا . فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا** ﴾ [النساء : ٦٠ـ٦٢] .

فإن هؤلاء إذا دعوا إلى ما أنزل اللّه من الكتاب وإلى الرسول ـ والدعاء إليه بعد وفاته هو الدعاء إلى سنته ـ أعرضوا عن ذلك وهم يقولون: إنا قصدنا الإحسان علماً وعملا

بهذه الطريق التى سلكناها ، والتوفيق بين الدلائل العقلية والنقلية .

ثم عامة هذه الشبهات التي يسمونها دلائل، إنما تقلدوا أكثرها عن طاغوت من طواغيت المشركين ، أو الصابئين ، أو بعض ورثتهم الذين أمروا أن يكفروا بهم ، مثل فلان وفلان ، أو عمن قال كقولهم ، لتشابه قلوبهم. قال اللّه تعالى: ﴿ **فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ [النساء :٦٥]، ﴿**كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ**﴾ الآية [البقرة :٢١٣] .

٥/١٩ ولازم هذه المقالة: ألا يكون الكتاب هدى للناس ولا بيانا،ولا شفاء / لما في الصدور، ولا نوراً، ولا مرداً عند التنازع؛ لأنا نعلم بالاضطرار أن ما يقوله هؤلاء المتكلفون أنه الحق الذي يجب اعتقاده، لم يدل عليه الكتاب والسنة، لا نصاً ولا ظاهراً، وإنما غاية المتحذلق أن يستنتج هذا من قوله: ﴿ **وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ**﴾[الإخلاص: ٤]، ﴿**هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا**﴾ [مريم: ٦٥].

وبالاضطرار يعلم كل عاقل أن من دل الخلق على أن اللّه ليس على العرش ، ولا فوق السموات ونحو ذلك بقوله: ﴿**هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا**﴾ لقد أبعد النُّجْعَة ، وهو إما ملغز وإما مدلس ، لم يخاطبهم بلسان عربي مبين .

ولازم هذه المقالة : أن يكون ترك الناس بلا رسالة، خيراً لهم في أصل دينهم ؛ لأن مردهم قبل الرسالة وبعدها واحد ، وإنما الرسالة زادتهم عمى وضلالة .

يا سبحان اللّه! كيف لم يقل الرسول يوماً من الدهر،ولا أحد من سلف الأمة: هذه الآيات والأحاديث لا تعتقدوا ما دلت عليه؛ ولكن اعتقدوا الذي تقتضيه مقاييسكم ، أو اعتقدوا كذا وكذا؛ فإنه الحق، وماخالف ظاهره فلا تعتقدوا ظاهره، أو انظروا فيها فما وافق قياس عقولكم فاقبلوه ، وما لا فتوقفوا فيه أو انفوه ؟

٥/٢٠ ثم رسول اللّهﷺ قد أخبرأن أمته ستفترق على ثلاث / وسبعين فرقة(١) ، فقد علم ما

---

(١) صححه الحاكم على شرط مسلم ١/٦ ورده الذهبي ، وقال: ما احتج مسلم بمحمد بن عمرو منفردًا بل بانضمامه إلى غيره، وأقره في موضع آخر ١/١٢٨ فلعله غفل عما ذكره من قبل ، أو اكتفى به. وأبو داود في السنة (٤٥٩٦) ، والترمذي في الإيمان(٢٦٤١)، وقال: « حسن صحيح» ،وابن ماجه في الفتن (٣٩٩١)، وابن حبان في الفتن (٦٢١٤) عن أبي هريرة.

والحديث وإن قال فيه الترمذي : «حسن صحيح» ، وصححه ابن حبان والحاكم ، فمداره على محمد ابن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثي ، وهو ـ كما في تهذيب التهذيب ـ يتكلم فيه من قبل حفظه ، =

سيكون . ثم قال : « إنى تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا ، كتاب اللّه»(١) .

وروى عنه أنه قال في صفة الفرقة الناجية : « هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي »(٢).

فهلا قال: من تمسك بالقرآن ، أوبدلالة القرآن، أو بمفهوم القرآن، أو بظاهر القرآن في باب الاعتقادات فهوضال ، وإنما الهدى رجوعكم إلى مقاييس عقولكم، وما يحدثه المتكلمون منكم بعد القرون الثلاثة ـ في هذه المقالة ـ وإن كان قد نبغ أصلها في أواخر عصر التابعين.

ثم أصل هذه المقالة ـ مقالة التعطيل للصفات ـ إنما هو مأخوذ عن تلامذة اليهود والمشركين ، وضلال الصابئين؛ فإن أول من حفظ عنه أنه قال هذه المقالة في الإسلام ـ أعني أن اللّه ـ سبحانه وتعالى ـ ليس على العرش حقيقة، وأن معنى استوى بمعنى استولى ونحو ذلك، هو الجَعْد بن درهم وأخذها عنه الجَهْم بن صفوان ، وأظهرها فنسبت مقالة الجهمية إليه .

وقد قيل: إن الجعد أخذ مقالته عن أبَان بن سَمْعَان، وأخذها أبان عن طالوت ابن أُخت لَبِيد بن الأعصم، وأخذها طالوت من لبيد بن الأعصم اليهودي الساحر ، الذي سحر النبى ﷺ.

٥/٢١ / وكان الجعد بن درهم هذا ـ فيما قيل ـ من أهل حَرَّان، وكان فيهم خلق كثيرمن الصابئة والفلاسفة ـ بقايا أهل دين نمرود والكنعانيين ، الذين صنف بعض المتأخرين في سحرهم ـ ونمرود هو ملك الصابئة الكلدانيين المشركين، كما أن كسرى ملك الفرس والمجوس، وفرعون ملك مصر ، والنجاشي ملك الحبشة ، وبطليموس ملك اليونان ، وقيصر ملك الروم ، فهو اسم جنس لا اسم علم .

فكانت الصابئة ـ إلا قليلاً منهم ـ إذ ذاك على الشرك، وعلماؤهم هم الفلاسفة؛ وإن

= وإن أحدًا لم يوثقه بإطلاق. . . ولم يزد الحافظ في التقريب على أن قال: «صدوق له أوهام». والصدق وحده في هذا المقام لا يكفي ما لم ينضم إليه الضبط، فكيف إذا كان معه أوهام؟

وانظر ما كتبه الدكتور يوسف القرضاوي حول هذا الحديث في كتاب: «الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم» ص ٤٩-٥٥، طبعة الوفاء، والصحوة.

(١) الترمذي في المناقب (٣٧٨٦) وقال : « حسن غريب» ، عن جابر بن عبد الله ، والموطأ في القدر ٢/ ٨٩٩(٣).

(٢) انظر الهامش قبل السابق.

كان الصابئ قد لا يكون مشركاً، بل مؤمناً بالله واليوم الآخر كما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٦٢]، وقال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [المائدة: ٦٩].

لكن كثيراً منهم أو أكثرهم كانوا كفاراً أو مشركين؛ كما أن كثيراً من اليهود والنصارى بدلوا وحرفوا وصاروا كفاراً أو مشركين، فأولئك الصابئون ـ الذين كانوا إذ ذاك ـ كانوا كفاراً أو مشركين، وكانوا يعبدون الكواكب ويبنون لها الهياكل.

٥/٢٢ /ومذهب النفاة من هؤلاء في الرب: أنه ليس له إلا صفات سلبية أو إضافية أو مركبة منهما، وهم الذين بعث إليهم إبراهيم الخليل ﷺ، فيكون الجعد قد أخذها عن الصابئة الفلاسفة.

وكذلك أبو نصر الفارابي دخل حَرَّان، وأخذ عن فلاسفة الصابئين تمام فلسفته، وأخذها الجهم أيضاً ـ فيما ذكره الإمام أحمد وغيره ـ لما ناظر «السمنية» بعض فلاسفة الهند ـ وهم الذين يجحدون من العلوم ما سوى الحسيات ـ فهذه أسانيد جهم ترجع إلى اليهود والصابئين والمشركين، والفلاسفة الضالون هم إما من الصابئين وإما من المشركين.

ثم لما عربت الكتب الرومية واليونانية ـ في حدود المائة الثانية ـ زاد البلاء، مع ما ألقى الشيطان في قلوب الضلال ابتداء من جنس ما ألقاه في قلوب أشباههم.

ولما كان في حدود المائة الثالثة، انتشرت هذه المقالة التي كان السلف يسمونها مقالة الجهمية؛ بسبب بشر بن غياث المريسي وطبقته، وكلام الأئمة مثل مالك، وسفيان بن عيينة، وابن المبارك، وأبي يوسف، والشافعي، وأحمد، وإسحاق، والفضيل بن عياض، وبشر الحافي وغيرهم ـ كثير في ذمهم وتضليلهم.

٥/٢٣ / وهذه التأويلات الموجودة اليوم بأيدي الناس ـ مثل أكثر التأويلات التي ذكرها أبو بكر ابن فُورَك في كتاب التأويلات، وذكرها أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي في كتابه، الذي سماه «تأسيس التقديس» ويوجد كثير منها في كلام خلق كثير غير هؤلاء، مثل أبي علي الجبائي، وعبد الجبار بن أحمد الهمداني، وأبي الحسين البصري، وأبي الوفاء بن عقيل، وأبي حامد الغزالي، وغيرهم ـ هي بعينها تأويلات بشر المريسي، التي ذكرها في كتابه، وإن كان قد يوجد في كلام بعض هؤلاء رد التأويل وإبطاله أيضاً، ولهم كلام حسن في أشياء.

فإنما بينت أن عين تأويلاتهم هي عين تأويلات بشر المريسي، ويدل على ذلك كتاب الرد الذي صنفه عثمان بن سعيد الدارمي، أحد الأئمة المشاهير في زمان البخاري، صنف كتاباً سماه: «رد عثمان بن سعيد على الكاذب العنيد فيما افترى على اللّه في التوحيد»، حكى فيه هذه التأويلات بأعيانها عن بشر المريسي بكلام يقتضي أن المريسي أُقعد بها، وأعلم بالمنقول والمعقول من هؤلاء المتأخرين، الذين اتصلت إليهم من جهته وجهة غيره، ثم رد ذلك عثمان بن سعيد بكلام إذا طالعه العاقل الذكي، علم حقيقة ما كان عليه السلف، وتبين له ظهور الحجة لطريقهم وضعف حجة من خالفهم.

٥/٢٤ ثم إذا رأى الأئمة ـ أئمة الهدى ـ قد أجمعوا على ذم المريسية، وأكثرهم/ كفروهم أو ضللوهم، وعلم أن هذا القول الساري في هؤلاء المتأخرين هو مذهب المريسي، تبين الهدى لمن يريد اللّه هدايته، ولا حول ولا قوة إلا باللّه.

والفتوى لا تحتمل البسط في هذا الباب، وإنما أشير إشارة إلى مبادئ الأمور والعاقل يسير وينظر.

وكلام السلف في هذا الباب موجود في كتب كثيرة، لا يمكن أن نذكر هاهنا إلا قليلاً منه؛ مثل كتاب السنن للالكائي، والإبانة لابن بطة، والسنة لأبي ذر الهروي، والأصول لأبي عمرو الطلمنكي، وكلام أبي عمر بن عبد البر، والأسماء والصفات للبيهقي، وقبل ذلك السُّنَّة للطبراني، ولأبي الشيخ الأصبهاني، ولأبي عبد اللّه بن منده، ولأبي أحمد العسال الأصبهانيين، وقبل ذلك السُّنَّة للخلال، والتوحيد لابن خزيمة، وكلام أبي العباس ابن سريج والرد على الجهمية لجماعة: مثل البخاري، وشيخه عبد اللّه بن محمد بن عبداللّه الجعفي، وقبل ذلك السُّنَّة لعبد اللّه بن أحمد، والسُّنَّة لأبي بكر بن الأثرم، والسُّنَّة لحنبل، وللمروزي، ولأبي داود السجستاني، ولابن أبي شيبة، والسُّنَّة لأبي بكر بن أبي عاصم، وكتاب خلق أفعال العباد للبخاري، وكتاب الرد على الجهمية لعثمان بن سعيد الدارمي، وغيرهم.

وكلام أبي العباس عبد العزيز المكي صاحب الحيدة في الرد على الجهمية، وكلام نعيم
٥/٢٥ ابن حماد الخزاعي، وكلام غيرهم، وكلام الإمام أحمد بن حنبل، / وإسحاق بن راهويه، ويحيى بن سعيد، ويحيى بن يحيى النيسابوري، وأمثالهم، وقَبْلُ: لعبد اللّه ابن مبارك وأمثاله وأشياء كثيرة.

وعندنا من الدلائل السمعية والعقلية ما لا يتسع هذا الموضع لذكره.

وأنا أعلم أن المتكلمين النفاة لهم شبهات موجودة، ولكن لا يمكن ذكرها في الفتوى،

فمن نظر فيها وأراد إبانة ما ذكروه من الشبه فإنه يسير .

فإذا كان أصل هذه المقالة ـ مقالة التعطيل والتأويل ـ مأخوذاً عن تلامذة المشركين والصابئين واليهود ، فكيف تطيب نفس مؤمن ـ بل نفس عاقل ـ أن يأخذ سبيل هؤلاء المغضوب عليهم أو الضالين، ويدع سبيل الذين أنعم اللّه عليهم من النبيين ، والصديقين، والشهداء ، والصالحين ؟!

٥/٢٦

/ فصـــل

ثم القول الشامل، في جميع هذا الباب :أن يوصف اللّه بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ، وبما وصفه به السابقون الأولون لا يتجاوز القرآن والحديث .

قال الإمام أحمد ـ رضي اللّه عنه ـ :لا يوصف اللّه إلا بما وصف به نفسه ، أو وصفه به رسوله ﷺ ،لا يتجاوز القرآن والحديث .

ومذهب السلف : أنهم يصفون اللّه بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله، من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ، ونعلم أن ما وصف اللّه به من ذلك فهو حق ليس فيه لغز ولا أحاجي ، بل معناه يعرف من حيث يعرف مقصود المتكلم بكلامه، لاسيما إذا كان المتكلم أعلم الخلق بما يقول ، وأفصح الخلق في بيان العلم ، وأفصح الخلق في البيان والتعريف ، والدلالة والإرشاد .

وهو ـ سبحانه ـ مع ذلك ليس كمثله شيء ، لا في نفسه المقدسة المذكورة بأسمائه وصفاته،ولا في أفعاله ، فكما نتيقن أن اللّه ـ سبحانه ـ له ذات حقيقة ، وله أفعال حقيقة، فكذلك له صفات حقيقة وهو ليس كمثله شيء لا في ذاته ، ولا في صفاته،ولا في أفعاله ، وكل ما أوجب نقصاً أو حدوثاً فإن اللّه منزه عنه حقيقة ، فإنه ـ سبحانه ـ
٥/٢٧ مستحق للكمال الذي لا غاية فوقه،ويمتنع عليه الحدوث لامتناع العدم / عليه،واستلزام الحدوث سابقة العدم،ولافتقار المحدَث إلى محدِث ،ولوجوب وجوده بنفسه ـ سبحانه وتعالى .

ومذهب السلف بين التعطيل والتمثيل ، فلا يمثلون صفات اللّه بصفات خلقه ، كما لا يمثلون ذاته بذات خلقه ، ولا ينفون عنه ما وصف به نفسه ، ووصفه به رسوله ، فيعطلوا أسماءه الحسنى ، وصفاته العليا ، ويحرفوا الكلم عن مواضعه ، ويلحدوا في أسماء اللّه وآياته .